البابُ التاسعُ والعشرون

في أَدَبِ الكُتَّابِ، وما قيل في الخطِ والآدابِ

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾[1].

وقال النبيﷺ: «أدبني ربي، فأحسن تأديبي».

قال أبو سلمة: كان رسولُ الله ﷺ يكتبُ إلى الأمراءِ والملوكِ، فقال لي في كتابه: «إذا أبردتُم بريداً فاجعلوه حسنَ الاسمِ، حسنَ الوجهِ».

وقال عمرُ لابنهِ: عليك بالأدبِ، فإن أهلَه متبوعون، والناس تَبَعٌ تحتَ طاعتهم.

وقال الأحنف لابنه: يا بني كنْ أديباً لم تكن غريباً حيث ما وقعتَ.

وقال عبدُاللهِ بنُ المباركِ: أنفقتُ في العلمِ ستين ألفاً، وفي الأدبِ أربعين ألفاً، وودت أن ما أنفقتُ في العلمِ ستين ألفاً أنفقته في الأدب.

وقال ابن شبرمة إذا سرَّكَ أن تعظُم في عينِ مَنْ كنتَ في عينه صغيراً، أو يصغُر من كان في عينك عظيماً، فتَعَلَّمِ العربيةَ، فإنها تجُريك على المنطقِ، وتُدنيك من السلطان.

وقال عبدُالملكِ بنُ مروانَ: ما الناس إلى شيءٍ من الأدبِ بأحوجَ منهم إلى إقامةِ ألسنتهم، التي يتعاورون الكلام، ويتعاطون البيان، ويتهادُون

(1) الرحمن: الآيات (1 - 4).

الحِكَمَ ويستخرجون غوامضَ العِلمِ من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها، وإن الكلام قاضٍ يحكمُ بين الخصوم؛ وضياء تجلو به الظُّلَم، وحاجة الناسِ إلى الأدبِ كحاجتِهم إلى موادِّ الأغذيةِ.

وقال (بُزرجمهر) لا يستطاعُ التأديبُ [إلا] بمجانبةِ الغضبِ، وتركِ العَجَلة والقلقِ.

وقال هشامُ بنُ عبدِالملكِ بنِ مروانَ لبنيه: تعلموا الأدبَ فإنَّ وراثتي إياكم الأدبَ أحبُّ إلي من وراثتي إياكم المالَ، فإنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ، وإنَّ العلمَ والأدبَ باقيان، وإنَّ العلمَ زينٌ والجهلَ شَينٌ، تعلموا القرآن [والنحوَ، فإن القرآنَ بلا نحوٍ كالجسدِ بلا رأسٍ]، تعلموا من الشعرِ أفصَحَه وأعفَّه، ومن السمُوِّ أغلَبه وأغربه.

تعلموا النسب حتى كأنكم تَقْرَؤونه وادخروا منِ الحديثِ ما كان مُسْنداً عن رسول الله ﷺ، وإياكم أن تُجمِّعوا تجميعَ حاطبٍ، فتشكوا في الخالقِ والمخلوقِ، ولا تجالسوا السفهاءَ ولا تمازحوهم، وإياكم وأصحابَ الكلامِ، فإنه لا يؤول إلى الرشادِ أمرهُم، ولا تَصْطَبِحُوا بالنوم، فإنه شؤمٌ ونكدٌ، وأنشأ في ذلك يقول:

العِلمُ زينٌ وتشريفٌ لصاحبِهِ
فاطلبْ هُديتَ فنونَ العلمِ والأدَبا
لا خيرَ فيمنَ له أصلٌ بلا أدبٍ
حتى يكونَ على ما رابهَ حَدِبا
كمْ من حسيبٍ أخي عيٍّ وطَمْطَمَةٍ
فَدْمٍ لدى القومِ معروفٍ إذا نسبا

في بيتِ مَكْرُمَةٍ آباؤُهُ نُجبٌ كانوا
رؤوساً وأمسى بعدَهم ذَنَبا
وخاملٍ مُقْرِفِ الآباءِ ذي أدبٍ
نالَ العلوَّ ونالَ المالَ والنَّشَبا
أمسى عزيزاً عظيمَ المُلكِ مُشْتَهِراً
في خده صعر قد ظلَّ محتجبا
العِلْمُ فَضْلٌ كنزٌ لا نفاد له
نِعْمَ الضجيع إذا ما عاقلا صحبا
قد يجمعُ المرءُ مالاً ثم يُسْلَبُهُ
عما قليل فيبقى الذل والحَرَبا
وجامعُ العلمِ مغبوطٌ به أبداً
ولا يحاذر لا فوتاً ولا سلبا
يا جامعَ العِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تجمعهُ
لا تعدلن به داراً ولا ذهبا

وقال ابن سيرين: ما رأيتُ على رجلٍ أحسنَ من فصاحةٍ، ولا على امرأةٍ أحسنَ من شَحْمٍ.

وكان يُقالُ: أربعةٌ يَسود بها السيِّدُ: العِلمُ، والأدبُ، والفقْهُ، والأمانةُ.

وقال (أفلاطون): ليس كلُّ إنسانٍ إنساناً إلا مَن كان في أدِبه وعلمِه إنساناً.

وقال (سقراط): العلمُ والأدبُ ينبغي أن يُشترَى بكلِّ شيءٍ ويُجعل كلُّ شيءٍ له فداءً.

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبدالملكِ: اللحنُ في الكلامِ أقبحُ من الجُدريِّ على الوجهِ.

الحكايةُ

حكي: أن الحجاجَ بنُ يوسفَ كان له صديقٌ، يُسمَّى مُرَّةَ، وكان جالساً، عنده فجاء الحاجبُ، فقال: أصلحَ اللَّهُ الأميرَ، فلانٌ الكاتبُ في البابِ، فقال: ائذنْ له، فقال الرجلُ: الكُتَّابُ شرُّ الناسِ، فدخلَ الكاتبُ، فرحبَ به، وأدْنَى مجلسه، وقَضى حاجتَه، فلما خرجَ، قال لصديقه: كيفَ قلتَ الكُتّابُ شرُّ الناسِ؟ واللهِ لولا الرحمُ والصحبةُ لأحسنتُ أدبَك، يقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[1].

وقالَ بعضُ الشعراءِ في هذا المعنى:

وقد عيروني الخطَّ واللَّهُ منزلٌ

فضيلَته تبّاً لهمْ ولرأيهم

يقولُ كراماً كاتبين مَديحُهم

ومدحُ إلهِ العرش خيرُ جزائهم

وقال (جالينوس): الخطُ أدبٌ، والعلمُ طبيبُ المنطقِ.

وقال آخرُ: القلم شجرٌ والكتابةُ زهرٌ والقراءةُ ثمرٌ.

وقال الآخرُ: الأقلامُ مطايا الفَطِن والكتابةُ سُرُجٌ على المطايا، والقراءةُ سَيرٌ جميلٌ وإذا بكتِ الأقلامُ تبسمَّتِ الكتُبُ.

---

(1) الانفطار: الآية (11).

وقال عبدُاللهِ بنُ المقفّعِ: القلمُ بريدُ القلبِ، يُخبر عن الفِكرِ ويَفحصُ عن خفيِّ النظرِ.

وقال الشاعر:

من كانَ يعجُبه مِنْ مسكٍ عارضهِ

مسكٌ يُطَيَّبُ منه الريحُ والنسما

فإنَّ مِسْكي مدادٌ فوقَ أُنْملتي

إذا الأصابعُ مني مَسَّتِ القلما

oberikandl.com